Journal Of the Iraqia University (75-7) April (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

رواية مسروق بن الأجدع عن أم رومان دراسة حديثية نقدية في دعوى الانقطاع

المدرس المساعد: شكار عثمان حمه‌فرج
جامعة السليمانية – كلية العلوم الإسلامية

The narration of Masrūq ibn al-Ajdaʿ from Umm Rūmān: A critical hadith study regarding the claim of disconnection

Assistant Teacher: Shkar Othman Hamafaraj
University of Sulaimani - College of Islamic Sciences
shkar.hamafaraj@univsul.edu.iq

الملخص

يعنى هذا البحث بدراسة جانب بالغ الأهمية ضمن علم السنة النبوية الشريفة؛ إذ يسعى في التحقيق من اتصال أحد أسانيدها، وهي رواية التابعي الكبير مسروق بن الأجدع، عن الصحابية الجليلة أم رومان بنت عامر، زوجة أبي بكر الصديق. إن الهدف الأساسي للبحث يتمثل في الإجابة عن دعوى بعض حفاظ الحديث المتأخرين بوجود انقطاع بين مسروق وأم رومان، وكذلك في الرد على الإشكالات التي أثارها الخطيب البغدادي حول صحة هذا الطريق وعدم تحقق الاتصال فيه. وقد انساق لهذه الدعاوى جماعة من الحفاظ الذين جاؤوا بعد الخطيب. يعتمد البحث في منهجيته على الحقائق التاريخية التي تؤكد وقوع السماع المباشر بين مسروق وأم رومان، إلى جانب النقد العلمي المفصل للأدلة التي استند إليها الخطيب ومن تبعه في الحكم بإعلال هذه الرواية بالانقطاع.**الكلمات المفتاحية:** مسروق بن الأجدع، أم رومان، اتصال السند، حادثة الإفك.

Abstract

This study addresses a highly significant aspect within the field of the Prophetic Sunnah, as it seeks to verify the continuity of the chain of transmission (isnād) of one particular narration—namely, the report of the eminent Tābiʿī **Masruq ibn al-Ajdaʿ** from the noble Companion **Umm Ruman bint ʿAmir**, the wife of **Abu Bakr al-Siddiq**.The primary objective of this research is to respond to the claim made by some early hadith authorities that there was a break (disconnection) between Masruq and Umm Ruman. It also aims to address the objections raised by **al-Khatib al-Baghdadi** regarding the validity of this chain and the alleged impossibility of establishing continuity within it. A number of later hadith scholars followed al-Khatib in adopting this view.Methodologically, the study relies on historical evidence that affirms the occurrence of direct hearing between Masruq and Umm Ruman, in addition to a detailed critical analysis of the proofs upon which al-Khatib and those who followed him based their ruling that this narration is defective due to discontinuity.**Keywords:** Masruq ibn al-Ajdaʿ, Umm Ruman, continuity of the chain of transmission, the Incident of al-Ifk.

تقوم الشريعة الإسلامية في تأسيس أحكامها وتشريعها على مصدرين أساسيين متكاملين؛ يمثل القرآن الكريم المصدر الأول والأعلى، وتأتي السنة النبوية الشريفة في المرتبة الثانية كمصدر تشريعي لا غنى عنه، وتشمل أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته، والسنة تفسر القرآن وتبينه، فهي تفصل مجمله، وتقيد مطلقه، وتخصص عامه. وقد ذكر هذا الدور البياني للسنة النبوية في القرآن الكريم بوضوح في آيات عديدة، منها قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾.[1]ونظرا لهذه الأهمية البالغة للسنة، فقد أولاها المسلمون منذ جيل الصحابة الكرام إلى يوم الناس هذا، عناية فائقة بلغت حد الإتقان. فقد أسسوا علما جليلا هو علم الحديث، ووضعوا قواعد صارمة لضبط متنه وسنده، فاجتهدوا في تمييز الأحاديث الصحيحة الثابتة من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة، وعملوا على التثبت من اتصال سلسلة الرواة، وميزوا المتصل منها عن المنقطع أو المرسل، أو غير ذلك من صور الإعلال. هذه الجهود هي التي أثمرت علم الجرح والتعديل وعلم العلل، لضمان دقة النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم.تتوخى هذه الدراسة معالجة إشكالية حديثية أثيرت في بعض المصنفات المتعلقة بالسنة النبوية، وتتمثل في إعلال بعض حفاظ الحديث لرواية التابعي الجليل مسروق بن الأجدع، عن أم رومان زينب بنت عامر، زوجة أبي بكر الصديق وأم

عائشة رضي الله عنهم، وذلك استنادا إلى الحكم بعدم سماع مسروق منها، وأشهر من تبنى هذا القول هو الخطيب البغدادي، ثم قلده في ذلك جماعة من الحفاظ الذين أتوا بعده. وقد تأسس هذا الإعلال على فرضية التقدم الزمني لوفاة أم رومان، الأمر الذي يجعل إدراك مسروق بن الأجدع لها والسماع منها أمرا مستبعدا من الناحية الزمنية.وفي سياق استقراء الدراسات السابقة، لم يقف الباحث، بعد التتبع، على بحث أكاديمي مستقل، خصص دعوى الانقطاع في رواية مسروق عن أم رومان بالدراسة والتحليل النقدي. وإنما بقيت هذه المسألة مادة مبثوثة ومتفرقة ضمن مصنفات الجرح والتعديل، والمؤلفات المتعلقة بالحديث النبوي الشريف. وبناء على ذلك، تبرز ضرورية هذه الدراسة، حيث تسعى للتحقيق في هذه المسألة، وجمع شتات الأقوال المتعلقة بها، وعرضها وفقا للموازين النقدية المعتبرة عند المحدثين.ويهدف هذا البحث بصورة رئيسية إلى نفي الإعلال المذكور، والجواب عن الإشكالات التي أوردها الخطيب وغيره من الحفاظ على هذه الرواية، وإثبات وجود السماع المباشر بين مسروق وأم رومان. ويتم ذلك بالاعتماد على القرائن التاريخية، وصولا إلى تأكيد صحة اتصال السند، ودفع الإعلال الموجه إلى السند المذكور.وتستمد هذه الدراسة أهميتها من كونها تؤكد اتصال السماع بين مسروق وأم رومان، إذ يمثل هذا الاتصال شرطا أساسيا لقبول تلك المرويات التي تروى من هذا الطريق، خاصة أن قسما منها مدون في الصحاح من المصنفات الحديث. وقد اعتمد البحث المنهج النقدي في معالجة وتحليل مادته.وتقتضي المنهجية البحثية أن يتألف هذا العمل من مقدمة تحدد فيها إشكالية البحث وأهدافه وأهميته ومنهجه، مصحوبة باستقراء الدراسات السابقة. ويتبع ذلك ثلاثة مباحث رئيسية، المبحث الأول في التراجم والسياق التاريخي. والمبحث الثاني في عرض دعوى عدم السماع وأدلتها. والمبحث الثالث في مناقشة دعوى الانقطاع وتحقيق القول في ذلك. ويشتمل كل مبحث منها على جملة من المطالب. ويختتم البحث بخاتمة تعرض فيها أبرز النتائج المستخلصة والتوصيات المقترحة.

المبحث الأول: التراجم والسياق التاريخي

المطلب الأول: ترجمة أم رومان

أولا: اسمها ونسبها

اختلف المؤرخون في تحديد نسب أم رومان، فذكر أنها أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة. وقيل: أم رومان بنت عامر بن عميرة بن ذهل بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة. والخلاف في نسبها من عامر إلى كنانة. وكذلك اختلفوا في اسمها، فقيل: زينب، وقيل: دعد.كانت أم رومان زوجة للحارث بن سخبرة بن جرثومة بن عادية بن مرة بن جشم من الأوس، من الأزد، وولدت له الطفيل. وقد قدم الحارث بن سخبرة من منطقة السراة إلى مكة، ومعه زوجته أم رومان وولدهما، ثم حالف أبا بكر الصديق رضي الله عنه. ووافته المنية في مكة المكرمة.تزوج أبو بكر الصديق بعدها أم رومان، فولدت له عبد الرحمن وعائشة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم. وقد أسلمت أم رومان بمكة قديما وبايعت، وهاجرت إلى المدينة المنورة مع أهل رسول الله وولده وأهل أبي بكر، حين قدم بهم في الهجرة.(٢)

ثانيا: مكانتها

تعد أم رومان رضي الله عنها في صدارة المهاجرات الأوليات اللاتي وفدن إلى المدينة المنورة في المراحل المبكرة للهجرة النبوية، وقد جاءت بصحبة آل النبي صلى الله عليه وسلم وأبنائه. وقد عرفت هذه الصحابية الجليلة بما اتصفت به من صلاح وتقوى، وبسيرتها الحسنة.(٣)

ثالثا: الخلاف في تاريخ وفاتها

توفيت أم رومان في المدينة المنورة، لكن تباينت الروايات التاريخية حول تحديد تاريخ وفاتها؛ إذ تتراوح الأقوال المثبتة لوفاتها في زمن النبي، صلى الله عليه وسلم، بين وقوعها في السنة الرابعة للهجرة، أو الخامسة، أو السادسة، واستندوا في ذلك على رواية وردت في وفاتها في الحقبة النبوية. غير أن فريقا من الحفاظ المحققين والعلماء، قد نفوا وقوع وفاتها في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وردوا تلك الروايات، ورجحوا القول بأن وفاتها تأخرت إلى عهد أبي بكر الصديق أو قريبا منه، وسيأتي تحقيق الكلام في تحديد وفاتها فيما بعد.(٤)

المطلب الثاني: ترجمة مسروق بن الأجدع

أولا: اسمه ونسبه وكنيته وولادته

هو مسروق بن عبد الرحمن (ولقبه الأجدع) بن مالك بن أمية بن عبد الله بن مر بن سلمان بن معمر بن الحارث بن سعد بن عبد الله بن وادعة بن عمرو بن عامر بن ناشح. كنيته أبو عائشة. ويقال: أبو أمية، الهمداني ثم الوادعي الكوفي.(٥)وفيما يتعلق بتحديد تاريخ ولادته فالمصادر التاريخية والسير والتراجم التي اعتنت بتوثيق حياة الرواة وحفظة الحديث، لم تحدد السنة التي ولد فيها مسروق بن الأجدع؛ ويعود هذا إلى أن

التدوين في القرون الأولى كان يركز بصورة أساسية على تاريخ الوفاة وتوثيق السماع، دون تاريخ الولادة، خاصة لمن ولدوا في فترة ما قبل الهجرة أو في بدايتها.ومع غياب تاريخ ولادته لجأ بعض المتأخرين من علماء الحديث إلى الاجتهاد والتقدير في ذلك. فقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، أن ولادة مسروق كانت في السنة الأولى من الهجرة النبوية.[٦]وهذا التحديد الذي ذهب إليه ابن حجر، على جلالة قدره، يحتاج إلى دليل أو مستند تاريخي يؤيده. والأهم من ذلك، أن هذا القول يعارض ما ذكره عدد من الحفاظ والمؤرخين الذين سبقوه.قال مغلطاي في كتابه "إكمال تهذيب الكمال" في سياق ترجمة مسروق بن الأجدع: " ... وفي معرفة الصحابة لأبي موسى: أدرك الجاهلية. وقال الحربي: مات وله ثمان وسبعون سنة".[٧]بناء على هذا، ووفقا لما سيفصل لاحقا في تاريخ وفاته، وحيث إن الثابت هو وقوع وفاة مسروق بن الأجدع في عام (٦٣) للهجرة النبوية، فإن ذلك يقتضي استبعاد ولادته في السنة الأولى للهجرة. والصحيح الذي تدعمه الدلائل التاريخية، هو أنه ولد في فترة الجاهلية قبل البعثة النبوية. وعليه، يصنف مسروق بن الأجدع ضمن طبقة المخضرمين الذين أدركوا المرحلتين الجاهلية والإسلامية.

ثانيا: شيوخه وتلاميذه

يعد مسروق بن الأجدع من جلة التابعين في عصره. وقد أدرك جمعا غفيرا من كبار الصحابة وغيرهم، وتلقى عنهم العلم، فذاع صيته واشتهرت مكانته العلمية في الآفاق. ومن جملة الذين أخذ عنهم العلم:أبو بكر، وعمر، وعلي، وعثمان، وأبي بن كعب، وأم رومان، ومعاذ بن جبل، وخباب بن الأرت، وعائشة، وابن مسعود، وعبد الله بن عمرو، وابن عمر، وسبيعة، ومعقل بن سنان، والمغيرة بن شعبة.[٨]وقد تلمذ لمسروق جماعات غفيرة من طلبة العلم، حيث نقلوا عنه العلم، وكان هؤلاء التلامذة بمثابة النواة التي حملت علمه ونشرته في الآفاق بعد وفاته، وقد أصبحوا بدورهم أئمة أعلاما في التابعين. ومن أبرز هؤلاء التلامذة الذين اشتهروا واتسعت شهرتهم في نقل العلم عنه:عامر بن شراحيل الشعبي، وإبراهيم النخعي، ويحيى بن وثاب، وعبد الله بن مرة، وأبو وائل شقيق بن سلمة، ويحيى بن الجزار، وأبو الضحى مسلم بن صبيح الهمداني الكوفي، وعبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، وعبيد بن نضيلة، ومكحول الشامي، وأبو إسحاق السبيعي، ومحمد بن المنتشر، ومحمد بن نشر الهمداني، وأبو الأحوص الجشمي، وأيوب بن هانئ، وعمارة بن عمير، وحبال بن رفيدة، وأنس بن سيرين، وأبو الشعثاء المحاربي.[٩]

ثالثا: منزلته في العلم والنسب ووفاته

يعد مسروق بن الأجدع أحد أعلام الطبقة الأولى من كبار التابعين، ليس فقط لتبحره في علوم الدين والفقه والحديث، بل يعود من حيث النسب أيضا إلى بيت تميز بالسيادة والتاريخ، فهو ينتمي إلى بيت يمني عريق ومشهور. وقد ساهم في بناء هذه المنزلة شخصيات من عائلته؛ فأبوه الأجدع كان من أفرس فرسان اليمن. وأما خاله فهو الصحابي الجليل والفارس المشهور عمرو بن معدي كرب الزبيدي، الذي كان من أكابر أهل اليمن وساداتهم المعدودين، ومن ذوي السيادة والحنكة والقيادة، وعرف بشجاعته وخطابته البليغة.[١٠] إلى جانب شرف نسبه، أجمع عدد غفير من الأئمة وكبار فقهاء عصره، على علو منزلة مسروق في العلم والاجتهاد فيه. وقد مثلت هذه الشهادات توثيقا لإمامته، وتأكيدا لرسوخ قدمه في رواية الحديث وفقه الدين. وفيما يلي ذكر لأبرز هؤلاء:

١- قال ابن سعد في كتابه "الطبقات الكبرى" : "كان مسروق ثقة، وله أحاديث صالحة".[١١]

٢- وقال عامر بن شراحيل الشعبي: "كان مسروق أعلم بالفتوى من شريح، وشريح أعلم منه بالقضاء، وكان شريح يستشير مسروقا، وكان مسروق لا يستشير شريحا".[١٢]

٣- وقال علي ابن المديني: "ما أقدم على مسروق أحدا من أصحاب عبد الله (أي: ابن مسعود)، صلى خلف أبي بكر، ولقي عمر، وعليا، ولم يرو عن عثمان شيئا".[١٣]توفي التابعي الجليل مسروق بن الأجدع بعد مسيرة علمية حافلة بالعطاء في تحصيل العلم ونشره، وقد وافته المنية في مدينة واسط (المدينة القديمة)، ويكاد يكون إجماع المؤرخين منعقدا على أن تاريخ وفاته كان في سنة (٦٣ هـ). وقيل: في (٦٢ هـ).[١٤] وفيما يتعلق بمسألة تحديد سنه عند الوفاة، فقد أورد الحافظ المزي أنه توفي وعمره (٦٣) عاما،[١٥] بيد أنه لم يسق دليلا هذا. والراجح أنه توفي وله (٧٨) سنة، بناء على قول إبراهيم الحربي، وهو الذي يتفق مع ما ذكره أبو موسى المديني من أن مسروقا أدرك الجاهلية، وقد ذكرنا هذا فيما سبق من تاريخ ولادته.

المطلب الثالث: زمن قدوم مسروق بن الأجدع إلى المدينة وعلاقته ببيت أبي بكر

إن تحديد التاريخ الذي قدم فيه مسروق بن الأجدع إلى المدينة النبوية لم يذكر في المصادر التاريخية الموثوقة التي بين أيدينا؛ إذ لم تتناول كتب التراجم والسير أي شيئ يتعلق بهذا، ولكن بالنظر إلى سيرته وفترة حياته، نستطيع أن نستنتج بعض الملامح الهامة. فبالنظر إلى كونه قد أدرك فترة الجاهلية واعتنق الإسلام في بداياته، فالظاهر أنه كان حين وصوله إلى المدينة النبوية شابا يافعا أو في مقتبل العمر، وهو ما مكنه من

الاستفادة من صحبة كبار الصحابة وأخذ العلم عنهم، مما جعله فيما بعد أحد فقهاء الكوفة الكبار، وأحد أئمة التابعين.ومما ينبغي ذكره ههنا، أن مسروقا كان يتمتع بصلة وثيقة وقرب خاص من بيت وأهل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، خصوصا وأن هذا القرب ربطه بشخصية علمية، وهي السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما. وكان مسروق من المكثرين من الرواية عنها، حتى عده العلماء من أثبت الناس وأوثقهم رواية عنها، مما يدل على عمق ملازمته لها. ولم يقتصر الأمر على كثرة الرواية فحسب، بل عد من خواص عائشة الذين يعتمد عليهم في نقل العلم عنها. هذا الارتباط الوثيق والقرب جعل من مسروق أحد الثقاة الذين نقلوا فقه عائشة إلى الأمة الإسلامية، ولهذا أصبح علما من أعلام الفقه في التابعين.[١٦]

المبحث الثاني: عرض دعوى عدم السماع وأدلتها

المطلب الأول: عرض أقوال الذين قالوا بالانقطاع

إن قضية إعلال رواية مسروق بن الأجدع عن أم رومان كانت موضع نقاش واختلاف لدى نخبة من أئمة علم العلل والحديث. ويأتي في مقدمة هؤلاء الأئمة: أبو علي ابن السكن (ت ٣٥٣ هـ)، والخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) ، وأبو عمر ابن عبد البر الأندلسي (ت ٤٦٣ هـ). وقد اتفق هؤلاء العلماء الثلاثة على وجود انقطاع، حيث حكموا بأن مسروقا لم يسمع مباشرة من أم رومان، مما أدى إلى اختلال شرط الاتصال.على الرغم من أن الحكم بالانقطاع صدر عن العلماء المذكورين جميعا، إلا أن كلام الخطيب البغدادي على هذه الرواية هو الذي انتشر لدى من جاء بعده من علماء الحديث. وقد انساق لنقده جماعة من الحفاظ المتأخرين، ونقلوه في مؤلفاتهم مسلما به.ونرى أن التسليم بصحة مقولة الخطيب أو تقليده في رأيه دون تتبع وإمعان نظر؛ يعد مخالفا للمنهج العلمي الذي أسس له علماء الحديث ونقاد الآثار، والذي يقوم على ضرورة الفحص المستقل لكل رواية على حدة. ويؤكد هذا المثال بوضوح على ضرورة المراجعة والتقييم لآراء السابقين من أهل العلم، ليس للطعن في مكانتهم، بل لضمان بقاء المنهج النقدي حيا وفاعلا.وأول من علمنا أنه حكم على هذا الطريق بالانقطاع هو ابن السكن ثم ابن عبد البر، لكن أول من بسط القول في إعلال هذه الرواية هو الخطيب. وفيما يأتي عرض هؤلاء:

١-قال ابن حجر: "ذكر أبو علي بن السكن في كتاب الصحابة في ترجمة أم رومان أنها ماتت في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: وروى حصين، عن أبي وائل، عن مسروق، قال: سألت أم رومان. قال ابن السكن: هذا خطأ. ثم ساق بسنده إلى حصين، عن أبي وائل، عن مسروق أن أم رومان حدثتهم ... فذكر قصة الإفك التي أوردها البخاري، ثم قال: تفرد به حصين، ويقال: إن مسروقا لم يسمع من أم رومان؛ لأنها ماتت في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم".[١٧]

٢-وقال ابن عبدالبر: "رواية مسروق عن أم رومان مرسلة، ولعله سمع ذلك من عائشة".[١٨]

٣-وقال الخطيب فيما نقل عنه المزي: "هذا (أي: حديث الإفك السابق) حديث غريب من رواية أبي وائل عن مسروق، لا نعلم رواه غير حصين بن عبد الرحمن عنه، وفيه إرسال؛ لأن مسروقا لم يدرك أم رومان، وكانت وفاتها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان مسروق يرسل رواية هذا الحديث عنها ويقول: سئلت أم رومان، فوهم حصين فيه إذ جعل السائل لها مسروقا، اللهم إلا أن يكون بعض النقلة كتب سألت بالألف، فإن من الناس من يجعل الهمزة في الخط ألفا وإن كانت مكسورة أو مرفوعة، فتبرأ حينئذ حصين من الوهم فيه. على أن بعض الرواة قد رواه عن حصين على الصواب. قال (أي: الخطيب): وأخرج البخاري هذا الحديث في صحيحه لما رأى فيه عن مسروق قال: سألت أم رومان ولم تظهر له علته، وقد بينا ذلك في كتاب"المراسيل"، وأشبعنا القول بما لا حاجة لنا إلى إعادته".[١٩] لقد أحدث كلام الخطيب هذا تأثيرا واضحا في جماعة من الحفاظ الذين أتوا بعده. ويمكن تصنيف هؤلاء الحفاظ إلى طائفتين اثنتين للوقوف على موقفهم من كلامه: الطائفة الأولى هي التي آثرت التأييد والانتصار للقول المذكور، كالمزي[٢٠]، والعلائي[٢١]. أما الطائفة الثانية، فهم الذين اقتصر دورهم على نقل كلامه في مؤلفاتهم دون إبداء أي موافقة أو مخالفة، كالحميدي[٢٢]، والذهبي[٢٣]، وابن كثير[٢٤].

المطلب الثاني: المستند التاريخي لدعوى الانقطاع

وقد استند الخطيب البغدادي ومن تبعه في دعوى انقطاع روايه مسروق عن أم رومان على رواية وردت في وفاة أم رومان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، والرواية أخرجها جماعة، منهم ابن سعد في "الطبقات الكبرى"[٢٥] عن يزيد بن هارون وعفان بن مسلم، وأبو نعيم في "معرفة الصحابة"[٢٦] عن محمد بن أحمد بن الحسن، ثنا علي بن محمد بن أبي الشوارب، ثنا أبو سلمة التبوذكي ثلاثتهم (يزيد وهارون وأبو سلمة) عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن القاسم بن محمد، أن أم رومان، زوجة أبي بكر وأم عائشة، لما دليت في قبرها قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: "من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين، فلينظر إلى أم رومان".تعد هذه الرواية الدليل التاريخي الذي اعتمده الخطيب البغدادي ومن وافقه للطعن في رواية مسروق عن أم رومان بعدم سماعه منها. وسوف نتكلم عليها لاحقا ونورد آراء النقاد بشأنها.

المطلب الثالث: أثر هذا الانقطاع على الأحاديث المروية من هذا الطريق

إن صحة أي رواية في السنة النبوية تتوقف بشكل أساسي على سلامة سلسلة رجالها، فإذا تطرق إليها أي ضعف أو انقطاع، تحتم عدم الاعتداد بها وإسقاطها من الاحتجاج. فالضعف قد يكون ناجما عن سوء حفظ أحد الرواة أو تهمة تدليس أو إرسال، بينما الانقطاع يعني عدم السماع بين شيخ وتلميذه، وفي كلتا الحالتين تصبح الرواية ضعيفة وغير صالحة للاعتماد. وبناء على هذا، فإن إعلال رواية مسروق عن أم رومان بالانقطاع يترتب عليه بالضرورة إسقاط جميع الروايات والأحاديث التي وصلت إلينا عبر هذا الطريق، وذلك لعدم استيفاء شرط الاتصال.وقد رويت بهذا السند أحاديث ذات أهمية في كتب السنة التي تلقتها الأمة بالقبول، وفي مقدمتها كتب الصحاح، وعلى رأس هذه الأحاديث التي تعتمد على هذا الطريق حديث الإفك الشهير. وفيه الحدث الذي كانت له تبعات جسيمة في المجتمع النبوي، وأنزل الله تعالى فيه آيات من القرآن الكريم تتلى إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾.[٢٧]وقد أخرج البخاري في صحيحه حديث الإفك فقال: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، عن حصين، عن أبي وائل قال: حدثني مسروق بن الأجدع قال: حدثتني أم رومان وهي أم عائشة قالت: "بينا أنا قاعدة أنا وعائشة، إذ ولجت امرأة من الأنصار فقالت: فعل الله بفلان وفعل، فقالت أم رومان: وما ذاك؟ قالت: ابني فيمن حدث الحديث، قالت: وما ذاك؟ قالت: كذا وكذا، قالت عائشة: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: نعم، قالت: وأبو بكر، قالت: نعم، فخرت مغشيا عليها، فما أفاقت إلا وعليها حمى بنافض، فطرحت عليها ثيابها فغطيتها، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما شأن هذه؟ قلت: يا رسول الله، أخذتها الحمى بنافض، قال: فلعل في حديث تحدث به؟ قالت: نعم، فقعدت عائشة فقالت: والله لئن حلفت لا تصدقوني، ولئن قلت لا تعذروني، مثلي ومثلكم كيعقوب وبنيه: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾.[٢٨] قالت: وانصرف ولم يقل شيئا، فأنزل الله عذرها، قالت: بحمد الله، لا بحمد أحد ولا بحمدك".[٢٩] ونظرا لمكانة هذه الرواية وأهميتها في كتب السنة، ولأنها تروي حدثا جللا يتعلق بعرض النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته، فمن الضروري مناقشة الطعون والاعتراضات التي وجهت إلى رواية مسروق عن أم رومان، وذلك بهدف تجلية الحقيقة وإظهار الصواب.

المبحث الثالث: مناقشة دعوى الانقطاع وتحقيق القول في ذلك

المطلب الأول: مناقشة ما أورده الخطيب البغدادي

أوردنا فيما سبق من هذه الدراسة كلام الخطيب البغدادي فيما يخص رواية مسروق بن الأجدع عن أم رومان. ونحاول في هذا المطلب أن نناقش ونقوم تلك الاعتراضات والدعاوى التي تضمنها كلامه ونجاوب عليها فيما يلي:

١-قال الخطيب: "هذا حديث غريب من رواية أبي وائل عن مسروق، لا نعلم رواه غير حصين بن عبد الرحمن عنه، وفيه إرسال؛ لأن مسروقا لم يدرك أم رومان؛ وكانت وفاتها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم".[٣٠]

والجواب: أن الخطيب اعتمد في قوله هذا بالانقطاع، على الرواية التي أوردناها فيما سبق، من أن أم رومان ماتت في زمن النبي، وهذه الرواية ردها جماعة من الحفاظ المتقدمين وضعفوها:

أ- منهم البخاري نفسه، تكلم على هذه الرواية في "التاريخ الأوسط" وضعفه؛ لأنها من رواية علي بن زيد بن جدعان وهو متفق على تضعيفه، وصحح رواية مسروق لأنه متفق على توثيقه، فقال بعد ما ساق إسناد مسروق عن أم رومان في حديث الإفك: "وروى علي بن زيد عن القاسم: ماتت أم رومان زمن النبي صلى الله عليه وسلم. وفيه نظر. وحديث مسروق (أي: حديث الإفك) أسند"[٣١].

ب- وممن رد هذه الرواية وتكلم عليها الدارقطني، فقد سئل عن حديث وفاة أم رومان فقال: "يرويه حماد بن سلمة، واختلف عنه، فرواه سفيان بن وكيع، عن ابن أبي عدي، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن القاسم، عن عائشة. وغيره يرويه، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن القاسم مرسلا، وهو المحفوظ".[٣٢] بل صرح الدارقطني في كتاب "المؤتلف والمختلف" بأن مسروقا روى عن أم رومان فقال: "أم رومان زوجة أبي بكر الصديق، هي أم عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، روى عنها مسروق بن الأجدع".[٣٣]

ومما يستدل به أيضا على سلامة هذا الطريق (مسروق عن أم رومان) واتصاله عند الدارقطني، سكوته في "الإلزامات والتتبع" عن نقده، فلو كان يرى أن هذا الإسناد معلل بالانقطاع، أو بأي علة قادحة أخرى، لكان تكلم عليه كما تكلم على غيره من الأحاديث التي رأها معلة في "الجامع الصحيح".

ت- كذلك رد هذه الرواية وضعفها الحافظ أبو نعيم الأصبهاني فقال: "قيل: إنها (أي: أم رومان) توفيت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو وهم. روى عنها مسروق".[٣٤] أي إن وفاة أم رومان تأخرت.

٢-ومما استدل به الخطيب أيضا، ادعاء التصحيف والوهم في إسناد الحديث من حصين بن عبدالرحمن السلمي فقال: "وكان مسروق يرسل رواية هذا الحديث عنها ويقول: سئلت أم رومان، فوهم حصين فيه؛ إذ جعل السائل لها مسروقا، اللهم إلا أن يكون بعض النقلة كتب سألت بالألف، فإن من الناس من يجعل الهمزة في الخط ألفا وإن كانت مكسورة أو مرفوعة، فتبرأ حينئذ حصين من الوهم فيه. على أن بعض الرواة قد رواه عن حصين على الصواب".[٣٥]والجواب: أنه يرد على هذه الدعوى بعدم التسليم لصحتها، بل ومخالفتها لما ورد في طرق أخرى لهذا الحديث؛ إذ إن الرواية المذكورة أخرجها أبو داود الطيالسي في مسنده وسعيد بن منصور في سننه من طريق حصين، وصيغة الرواية بين مسروق وأم رومان جاءت بلفظ التحديث:

أ- قال أبو داود الطيالسي: "حدثنا أبو عوانة، عن حصين، عن أبي وائل، عن مسروق، قال: حدثتني أم رومان أم عائشة، قالت: "بينا أنا قاعدة ... "[٣٦] الحديث.

٣-وقال سعيد بن منصور: "نا سويد بن عبد العزيز، قال: نا حصين، عن أبي وائل، عن مسروق، أن أم رومان حدثتهم قالت: بينا أنا قاعدة عند عائشة، إذ جاءت امرأة ... ".[٣٧] وصيغة التحديث هذه، تدل دلالة قاطعة على ثبوت الاتصال والسماع المباشر بين مسروق وأم رومان، وبناء على هذا، تنتفي دعوى الخطيب القائمة على احتمال وقوع التصحيف في الإسناد من قبل حصين بن عبد الرحمن السلمي.وقال الخطيب أيضا: "وأخرج البخاري هذا الحديث في صحيحه لما رأى فيه عن مسروق قال: سألت أم رومان ولم تظهر له علته".[٣٨]والجواب: الظاهر أن الخطيب لم يطلع على كلام البخاري في كتابه "التاريخ الأوسط" في هذه المسألة؛ لأن البخاري قد صرح في كتابه المذكور بوجود الاختلاف في ذلك، وصحح أن وفاة أم رومان تأخرت إلى زمان أبي بكر الصديق، ولذلك ذكرها تحت عنوان "من مات في خلافة أبي بكر رضي الله عنه أو قريبا منه"[٣٩].

ومما يحسن التنبيه عليه هنا، أن الحافظ ابن حجر ذكر في غير واحد من كتبه[٤٠] أن البخاري ذكر وفاة أم رومان في "التاريخ الأوسط" في عنوان "ذكر من مات في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه". والصواب ما ذكرناه.

المطلب الثاني: تحقيق القول في تاريخ وفاة أم رومان

استكمالا لرد الاستدلال الذي أورده الخطيب البغدادي حول انقطاع رواية مسروق عن أم رومان، والذي يقوم على زعم وفاتها في العهد النبوي، خصص هذا المطلب للتحقيق في تحديد تاريخ وفاة أم رومان. وذلك بغية التوصل إلى تحقيق تاريخ وفاته، فنقول:

١- إن الدعوى القائلة بوفاة أم رومان في السنة الرابعة أو الخامسة أو السادسة للهجرة تعارض بما أورده الزبير بن بكار، حول خروج عبد الرحمن بن أبي بكر في وفد من قريش لمقابلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل فتح مكة. ويتفق مع هذا ما ذهب إليه محمد بن سعد، الذي حدد إسلام عبد الرحمن بصلح الحديبية، والصلح بدأ في ذي القعدة سنة ست للهجرة بالاتفاق، بينما وقع الفتح في رمضان سنة ثمان للهجرة. وقد ثبت في الصحيحين عن عبد الرحمن بن أبي بكر، في قصة أضياف أبي بكر من أصحاب الصفة وتأخره عنهم، قال عبد الرحمن: "فهو أنا وأبي وأمي، ... وامرأتي، وخادم بيننا وبين بيت أبي بكر ... فقال (أي: أبو بكر) لامرأته: يا أخت بني فراس، ما هذا؟!"[٤١].

ولا خلاف في أن أم عبد الرحمن المشار إليها هي أم رومان؛ لأن أبابكر نسبها إلى بني فراس بن غنم من قبيلة كنانة، وقد أوردنا نسب أم رومان فيما سبق. وبما أن إسلام عبد الرحمن قد وقع بين صلح الحديبية والفتح، كما ذكر آنفا، فإن هذه القصة المذكورة يتعين وقوعها قطعا بعد تاريخ إسلامه. وبناء على ذلك، لا يمكن التسليم بصحة وفاتها في نهاية السنة السادسة للهجرة، إلا إذا افترضنا إسلام عبد الرحمن قبل ذلك التاريخ.[٤٢]

٢- ومما يدل على تأخر وفاتها، أنها ذكرت في قصة تخيير النبي لأزواجه في روايات عدة، فقد أخرج أحمد بسند حسن في مسنده عن عائشة، قالت: "لما أنزلت آية التخيير بدأ (أي: النبي) بها فقال: "يا عائشة إني عارض عليك أمرا فلا تفتاتن فيه بشيء حتى تعرضيه على أبويك أبي بكر وأم رومان، قالت: أي رسول الله وما هو؟ ... قال قال الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩﴾.[٤٣] قالت: فإني

أريد الله ورسوله والدار الآخرة، ولا أؤامر في ذلك أبوي أبا بكر وأم رومان، قالت: فضحك النبي صلى الله عليه وسلم، ثم استقرأ الحجر، فقال: إن عائشة قالت: كذا وكذا، قال: فقلن مثل الذي قالت عائشة".[٤٤]

وأصل هذه القصة في البخاري دون التصريح بأم رومان.[٤٥] وبما أن التخيير كان بعد فتح مكة في السنة الثامنة، فإن الحديث ينص صراحة على وجود أم رومان آنذاك. فهذه الواقعة تؤكد تأخر وفاة أم رومان عن سنة ثمان للهجرة.[٤٦]

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة ضمن علوم الحديث النبوي الشريف؛ وتحديدا في التحقق من اتصال رواية مسروق بن الأجدع عن أم رومان، نعرض أهم النتائج والتوصيات التي تم التوصل إليها على النحو التالي:

١-البخاري أول المصنفين الذين نبهوا على وجود الاختلاف في ثبوت سماع مسروق من أم رومان، وذلك بخلاف ما توهمه الخطيب البغدادي من عدم اطلاع البخاري عليه.

٢-ابن السكن هو أول من حكم بنفي سماع مسروق من أم رومان، بيد أن الخطيب هو الذي اشتهر بهذا الرأي؛ لكونه وسع الكلام فيه. وقد قلده في ذلك جمع من الحفاظ المتأخرين.

٣-المعتمد أن وفاة أم رومان تأخرت إلى خلافة أبي بكر الصديق، أو كانت مقاربة لتلك الفترة. وأن مسروق بن الأجدع من المخضرمين الذين أدركوا كلا من العصر الجاهلي والإسلامي.

٤-حكم بصحة سماع مسروق من أم رومان جمع من الحفاظ، منهم البخاري، وإبراهيم الحربي، والدارقطني، وابن حجر العسقلاني. ونرى أن هذا القول هو الرأي الراجح والمعتمد في هذه المسألة.

ونوصي بإجراء دراسة أكاديمية تحقق في جزئية تاريخ وفاة أم رومان، وذلك بتتبع مصنفات الطبقات والتراجم، وكتب التاريخ والحديث؛ نظرا لما تستدعيه هذه المسألة من استقصاء ودراسة معمقة.

هوامش البحث

---

(١) (النحل: ٤٤).

(٢) (ينظر: ابن سعد، ٢٦٢/١٠. وابن عبد البر، ٣٢٧/٨).

(٣) (ينظر: ابن عبد البر، ٣٢٧/٨-٣٢٩).

(٤) (ينظر: ابن حجر أ، ٣٩٢/٨).

(٥) (ينظر: المزي ب، ٤٥١/٢٧-٤٥٢).

(٦) (ينظر: ابن حجر أ، ٣٩٢/٨).

(٧) (مغلطاي، ١٥٥/١١).

(٨) (ينظر: الذهبي أ، ٦٤/٤).

(٩) (ينظر: المرجع نفسه).

(١٠) (ينظر: المزي ب، ٤٥٤/٢٧).

(١١) (ابن سعد، ٢٠٥/٨).

(١٢) (ابن عساكر، ٤١٢/٥٧).

(١٣) (الذهبي أ، ٦٧/٤).

(١٤) (ينظر: المزي ب، ٤٥٧/٢٧).

(١٥) (ينظر: المرجع نفسه).

(١٦) (ينظر: المرجع نفسه، ٤٥٦/٢٧).

(١٧) (ابن حجر أ، ٣٩٤/٨).

(١٨) (ابن عبد البر، ٣٣٠/٨).

(١٩) (المزي أ، ٣٦٠/٣٥).

(٢٠) (ينظر: المزي أ، ٧٩/١٣).

(٢١) (ينظر: العلائي، ٢٧٧).

(٢٢) (ينظر: الحميدي، ٣٠٨/٤).

(٢٣) (ينظر: الذهبي ب، ٥٢٤/٢).

(٢٤) (ينظر: ابن كثير، ٣٤٩/٤).

(٢٥) (٢٦٢/١٠).

(٢٦) (٣٤٩٨/٦).

(٢٧) (النور: ١١).

(٢٨) (يوسف: ١٨).

(٢٩) (البخاري، ٣٠٧/٥، برقم ٤١٣٠).

(٣٠) (المزي أ: ٣٦٠/٣٥).

(٣١) (البخاري أ، ٣٨/١).

(٣٢) (الدارقطني أ، ٢٣٢/١٤).

(٣٣) (الدارقطني ب، ٩٩٢/٢).

(٣٤) (أبو نعيم، ٣٤٩٨/٦).

(٣٥) (المزي أ، ٣٦٠/٣٥).

(٣٦) (الطيالسي، ٢٤٢/٣، برقم ١٧٧٠).

(٣٧) (سعيد بن منصور، ٤٠٣/٦، برقم ١٥٥٥).

(٣٨) (المزي أ، ٣٦٠/٣٥).

(٣٩) (ينظر: البخاري أ، ٣٨/١).

(٤٠) (ابن حجر ب، ٤٦٨/١٢. ابن حجر ت، ٣٧٣).

(٤١) (البخاري، ١٢٤/١، برقم ٦٠٢).

(٤٢) (ينظر: ابن حجر أ، ٣٩٣/٨).

(٤٣) (الأحزاب: ٢٨-٢٩).

(٤٤) (البخاري، ٥٠٧/٤٢، برقم ٢٥٧٧٠).

(٤٥) (ينظر: البخاري، ١١٧/٦، برقم ٤٧٨٥).

(٤٦) (ينظر: ابن حجر أ، ٣٩٤/٨).

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١- ابن حجر. أحمد بن علي العسقلاني:

أ- الإصابة في تمييز الصحابة. تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. ط١. (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).

ب- تهذيب التهذيب. تح: إبراهيم الزيبق، عادل مرشد. ط١. (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٣٥هـ).

ج- هدي الساري مقدمة فتح الباري. تح: محب الدين الخطيب. ط١. (مصر، المكتبة السلفية، ١٣٨٠).

٢- ابن سعد. محمد بن سعد بن منيع الزهري. الطبقات الكبير. تح: د. علي محمد عمر. ط١. (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٢١هـ).

٣- ابن عبد البر. يوسف بن عبد الله. الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تح: عبد الله بن عبد المحسن التركى. ط١. (مصر، دار هجر، ١٤٤٠هـ).

٤- ابن عساكر. علي بن الحسن. تاريخ مدينة دمشق. تح: محب الدين أبو سعيد. دون ط. (بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ).
٥- ابن كثير. إسماعيل بن عمر. التكميل في الجرح والتعديل. تح: د. شادي بن محمد. ط١. (اليمن، مركز النعمان، ١٤٣٢هـ).
٦- الأصبهاني. أبو نعيم أحمد بن عبد الله. معرفة الصحابة. تح: عادل بن يوسف العزازي. ط١. (الرياض، دار الوطن، ١٤١٩هـ).
٧- البخاري. محمد بن إسماعيل:
أ- التاريخ الأوسط. تح: محمود إبراهيم زايد. ط١. (حلب، مكتبة دار التراث، ١٣٩٧هـ).
ب- الجامع الصحيح. تح: جماعة من العلماء بعناية محمد زهير. ط١. (بيروت، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).
٨- الحميدي. محمد بن فتوح. الجمع بين الصحيحين. تح: د. علي حسين. ط٢. (بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ).
٩- الدارقطني. علي بن عمر:
أ- العلل الواردة في الأحاديث النبوية. تح: محفوظ الرحمن زين الله. ط١. (الرياض، دار طيبة، ١٤٠٥هـ).
ب- المؤتلف والمختلف. تح: موفق بن عبد الله. ط١. (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٦هـ).
١٠- الذهبي. محمد بن أحمد:
أ- سير أعلام النبلاء. تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون. ط٣. (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ).
ب- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة. تح: محمد عوامة. ط١. (جدة، مؤسسة علوم القرآن، ١٤١٣هـ).
١١- سعيد بن منصور. السنن.تح: حبيب الرحمن الأعظمي. ط١. (الهند، الدار السلفية، ١٤٠٣هـ).
١٢- الطيالسي. سليمان بن داود. المسند. تح: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي. ط١. (مصر، دار هجر، ١٤١٩هـ).
١٣- العلائي. خليل بن كيكلدي. جامع التحصيل في أحكام المراسيل. تح: حمدي عبد المجيد السلفي. ط٢. (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٧هـ).
١٤- المزي. أبو الحجاج يوسف:
أ- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف. تح: عبد الصمد شرف الدين. ط٢. (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ).
ب- تهذيب الكمال في أسماء الرجال. تح: د. بشار عواد معروف. ط١. (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠-١٤١٣هـ).
١٥- مغلطاي. علاء الدين بن قليج. إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال. تح: عادل بن محمد. ط١. (القاهرة، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ١٤٢٢٢هـ).